التحديات المعاصرة للثقافة الإسلامية

دراسة في الصورة النمطية المتبادلة للسلام وللحرب بين الإسلام والغرب

أ. م. د. سميرة عبد الرزاق عبد الله
كلية التربية للبنات
جامعة بغداد

(خلاصة البحث)

تواجه الثقافة الاسلامية تحديات عدة اهمها العلمانية والتغريب والاستعمار والعولمة وفي ظل المحاولات الراهنة من الدول الغربية وعلى راسها الولايات المتحدة لغرض هيمنتها على العالم في مواجهة الاقطاب المنافسة لها والاخذ في الصعود واحتلالها لأفغانستان والعراق وتهديدها للكثير من الدول العربية والاسلامية، ركزت الكتابات والدراسات على الاهداف السياسية والاقتصادية للهيمنة الغربية الامريكية وعلى اساليبها في توظيف آليات النظام الدولي لتصبح (غطاء) لمد هيمنتها على العالم الا ان المناخ الاعلامي - الثقافي – الحضاري لهذا الصراع لم يحظ بالاهتمام والدراسة الكافيتين بعد. وهو مجال بحث الصورة النمطية المتبادلة بين الغرب من ناحية والشرق الاسلامي من ناحية اخرى ولما كانت مساحة الموضوع واسعة وعريضة، فقد ركزنا على محاور محددة متمثلة بتوضيح ملامح الصور السلبية عن الاسلام في تأكيدها، وذلك من خلال متابعة الوقائع المتمثلة بالتدخل الغربي – الامريكي في اغلب الدول الاسلامية وتحليله تحليلاً ثقافياً – حضارياً ومن قبيل ذلك التعميم الغربي لصفة الارهاب والعنف بوصفه صفة اتسم بها الاسلام والمسلمون عامة حسب رؤية الغرب.

وفي تحليل متعمق (للنفسية الجماعية) سنبرز كيف يلقى هذا التعميم غير الموضوعي هوى واستجابة في نفس المواطن الغربي اذ انه يدعم الاساس

الذي بُنيت عليه نظرة الغربي لحضـــارات الاخرين بوصفها حضارات متدنية في مقابل نظرته المتمركزة على ذاته الحضارية.

كما تكشـف الدراسـة كيف ان الرؤية الغربية القائمة على اسـاس ممارسـته القوة تجاه الاخرين تفترض دائماً وجود عدو يوجه له هذا العنف حتى إذا لم يوجد هذا العدو، لقد تجسدت عمـــــــــلية الخلق الجماعي الاسطوري اخيراً في استبدال الخطر الاسلامي بالخطر الشيوعي الذي زال منذ عام ١٩٩١.

اما الاضافة الاخيرة للدراسة فتتمثل في ابراز موضوعية الحضارة الاسلامية – التي بنت قـوتها – في تعاملها مع (الخطر الحضاري) والتفاعل المثمر معه اينما كان في الشام او الجـــــزيـــرة او الاندلس وفي فارس وحتى في الصين وهو ما انعكس في تلك (الصـور النمطية) المتوازنة للأخرين لما فهم الاخر الغربي كما تناول البحث النظرة الحديثة والراهنة للغرب وصـــورته النمطية في عالمنا الاسـلامي والتي يغلب عليها نفس الروح الحضـارية المنفتحة نفسـها وان حذر من تنامي اتجـاه معاد لكل ما هو غربي نتيجة قوة وتوالي موجات العداء الغربي للبلدان الاسـلامية وهو الموضـوع الصـعب الذي يعرض علينا المواجهة دونما الوقوع في عزلة حضارية، بل ان دروس التأريـخ تؤكد ان التواصل الحضاري كان دائماً عوناً على تأكيد القوة الذاتية والهوية المستقلة وهـــو ما يمثل مبادرتنا الحضارية التي ينادي الجميع اليوم لتجسيدها تجاوزاً للمأزق الحضاري الـــذي نواجهه.

اختص المبحث الاول بالتكييف الثقافي الحضـــاري للحملة الغربية ضـــد الدول العربية الاسلامية.

اما المبحث الثاني فتأطر تحت عنوان تحليل العوامل الثقافية – الحضـــارية في الحملة ضـد الاسـلام. ومن ثم الخاتمة التي تضـمنت اهم الاسـتنتاجات المتعلقة بالموضوع.

المقدمة:

في ظل المحاولة الراهنة من الولايات المتحدة لفرض هيمنتها على العالم في مواجهة الأقطاب المنافسة لها والأخذة في الصعود في أسيا و اوربا واحتلالها لأفغانستان والعراق. وتهديدها للدول الأخرى ركزت الكتابات والدراسات على الأهداف السياسية والاقتصادية للهيمنة الأمريكية وعلى أساليبها في توظيف آليات

النظام الدولي لتصبح (غطاء) لممارساتها العدوانية غير المشروعة، الا إن المناخ الإعلامي – الثقافي-الحضاري لهذا الصراع لم يحظ بالاهتمام والدراسة الكافيين بعد، وهو مجال اهتمام وتأمل الحالة العدائية للإسلام والمسلمين، الا وهي معركة (الصور النمطية) المتبادلة بين الغرب من ناحية وبين الشرق الإسلامي من ناحية أخرى.

ولما كانت مساحة الموضوع واسعة عريضة، فقد أتخذنا من التهديدات الأمريكية لبعض الدول الإسلامية حالة كاشفة للإبعاد المعاصرة لتلك العلاقة المعقدة، موضحين ملامح الصور السلبية عن الإسلام في تأكيدها، وذلك من خلال متابعة الوقائع التي صاحبت التدخل الامريكي البريطاني في العراق خلال ١٩٩١، و٢٠٠٣ وتحليلها تحليلا ثقافيا، ومن قبيل ذلك(التعميم) الغربي لصفة (الإرهاب والعنف)، بوصفه صفة اتسم بها الإسلام والمسلمين بعامة، والتشكيك في نزاهة قضائهم لكونهم فاقدين (للأهلية القضائية) !! حسب رؤية الغرب.

وفي تحليل متعمق (للنفسية الجماعية) سنبرز كيف يلقي هذا التعميم غير الموضوعي هوى واستجابة في نفس المواطن الغربي (وبخاصة الامريكي) إذ انه يدعم الأساس الذي قامت عليه نظرة الغربي لحضارات الآخرين بوصفها حضارة متدنية في مقابل نظرته المتمركزة على ذاته الحضارية وأنانية.

كما تكشف الدراسة كيف ان الرؤية الغربية القائمة على ممارسة القوة تجاه الآخرين تفرض دائما وجود عدو له هذا العنف، وحتى إذا لم يوجد هذا العدو/الأخر واقعيا لاخترعه (العقل الجماعي) الغربي من خلال هذا الخلق الأسطوري لتلك (الصورة النمطية) المشوهة لذلك الأخر (الشيطاني) و

(الإرهابي) وإلا لمن توجه طاقة العنف الأصـــلية في الروئية الغربية للوجود؟ ولمن هذه الترســانة الضــخمة من الســلاح التي تجني الشــركات العملاقة من ورائها أموالاً طائلة، فقد تجسـدت عملية الخلق الجماعي الأسـطوري أخيرا في استبدال (الخطر الإسلامي) بـ (الخطر الشيوعي) الذي زال منذ عام ١٩٩١.

والواقع إن المتابع للرأي العام الغربي يكشف إن العملية نفسها قد تمثلت في تضخيم أسطورة آخر أسطورة (الخطر الأصفر) وعلى رأسه اليابان، وهو مـا يظهر في تزايد العداء في الغرب لكل مـا هو يـابـاني، بـدأ من فكرة الغزو الاقتصـــادي الياباني وانتهاء بالتحذير من إحياء عقيدة (الســـامورا) والنزعة العسكرية اليابانية مستقبلا.

ولكن يبـدو إن موازين القوى الراهنـة قـد حســمـت التوجـه الغربي، فالحرب ضـد اليابان (الخطر الأصـفر) ظلت محدودة واقتصـرت على الحرب الاقتصـادية الدائرة ألان وفي المسـتقبل، إما بالنسـبة لعالمنا الإسـلامي في حال (ضــعفه الراهن)، فقد كانت الظروف مواتية لتفريغ كل شــحنات العنف الغربي تجاه الإسـلام، ولاسـيما أن دروس الماضـي قد أكدت في الذهنية الغربية ان هذه المنطقة الثقافية الحضـــارية قد تكون على المدى البعيد مؤهلة لتصـــبح بديلا حضاريا بالمعنى الواسع للكلمة لحضارة الغرب.

إما الإضــافة الأخيرة للدراســة فتمثل في ابراز موضــوعية الحضــارة الإســلامية - بنت قوتها- في تعاملها مع (الخطر الحضــاري) والتفاعل المثمر معه أينما كانت، في تلك (الصــورة النمطية) المتوازنة للآخرين لما فيهم الأخر الغربي، كما تناول البحث النظرة الحديثة والراهنة للغرب والصورة النمطية في عالمنا الإســلامي والتي يغلب عليها نفس الروح الحضــارية المنفتحة وان حذر من تنامي اتجاه معاد لكل ما هو غربي نتيجة قوة وتوالي موجات العداء الغربي للبلدان الإسـلامية وهو الموضـوع الصـعب الذي يفرض علينا المواجهة دونما الوقوع في عزلة حضارية، بل إن دروس التاريخ تؤكد ان التواصل الحضاري كان دائما عونا على تأكيد القوة الذاتية والهوية المســتقلة وهو ما يمثل مبادراتنا

الحضـارية التي ينادى الجميع اليوم لتجسـيدها تجاوزا للمأزق الحضـاري الذي نواجهه.

لقد طغت أو كانت الجوانب السياسية والقانونية والاقتصادية في تحليل الاتهامات الموجهة للإسـلام والمسـلمين، وربما ترجع غلبة هذه الجوانب إلى طبيعة العداء الغربي للإسلام والمسلمين، والسباق السياسي والدعائي للربط بين هذا العداء واسـتغلالها لاتهام الدول الإسـلامية للتورط بما يسـمى بالإرهاب وتوظيف القانون الدولي ومجلس الأمن لتحقيق أهداف سـياسـية واقتصـادية للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والكيان الصـهيوني في مرحلة ما بعد زوال الاتحاد السوفيتي، وانفراد الولايات المتحدة بالشؤون الدولية، ولاسيما بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣ وبدء المفاوضـات العربية الثانية والجماعية مع الكيان الصـهيوني، فضـلا عن التنافس والصـراع الاقتصـادي بين الولايات المتحدة والقوى الاقتصادية الصاعدة (أوروبا الموحدة واليابان) والذي يحسمه إلى حد كبير قدرة كل طرف على تأمين إمدادات البترول، ثم تتلو ذلك السيطرة على المنطقة العربية وهي منطقة إسلامية[1].

ولا شك إن اهمية الجوانب السياسية والقانونية والاقتصادية في تحليل طبيعة الاتهامات الغربية الموجهة إلى الإسـلام والمسـلمين وسـباق طرحها وتتابعها، وربما نتائجها المتوقعة، ولكن تبقى في مواجهة جوانب ثقافية حضـارية يصـعب فهم وتحليل ما يجري، فثمة رؤى للعالم ومدركات وصـور نمطية وقيم ومعايير سـلوك ورموز تنتمي إلى الحقل الثقافي – الحضـاري، وتؤثر في هذه المواجهة وتحركها برغم حرص الاطراف الغربية في هذه المواجهة على تجاهلها وعدم التصـريح بها، بل ونفي أن تكون لها إي وظيفة، من هنا فان عدم اهتمام الكتابات الإسـلامية والعربية بالجوانب الثقافية - الحضـارية نتيجة ثقل حضـور الجوانب الأخرى وأولوية تأثيرها في الإحداث يؤدي إلى نوع من التسليم غير الواعي بالمنطق الغربي، والتعامل مع المواجهة بالكيفية التي تريده وتستفيد منها في تحقيق أهدافه.

ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى كشف الجوانب الثقافية الحضارية المصرح بها وتحليلها أو السكوت عنها في المواجهة الغربية مع بعض الدول الإسلامية، وذلك من خلال إتباع منهج التحيل الثقافي الذي يركز على دراسة رؤى العالم السائدة في مجتمع معين، وعلى تحليل الادراكات والتصورات والصور النمطية عن النفس وعن الآخرين، وعلى القيم السائدة، وعلى نوعية الخطابات السياسية المتصارعة في المجتمع، مع تركيز خاص على اللغة لكونها معبرة برموزها عن الشبكة المعقدة للقيم والمعايير التي تؤشر السلوك الاجتماعي والسياسي في التحليل النهائي(٢).

وقد تبلور هذا المنهج من خلال صياغات واستعلامات مختلفة في الفلسفة (الانثروبولوجيا) الحضارية، وعلم النفس وعلم اجتماع المعرفة، إي انه نشأ وتطور في إطار الحضارة الغربية، ثم تلا ذلك تأثره بقيمها وتحيزاتها سواء على مستوى المفاهيم والغايات المعرفية. أو النتائج والممارسات اذ كانت اغلب تطبيقاته على مجتمعات وشعوب غير أوربية(٣).

على إن هذه التحفظات لا تعني فساد المنهج وعدم صلاحيته بقدر ما تساعد على تجنب تحيزاته مع الحرص على الاستفادة من ايجابياته، وباستعماله لدراسة المجتمعات الغربية عامة، وحملة الاتهامات ضد الدول العربية الإسلامية، وتجدر الاشارة إلى إن أحد أسباب اختيار هذا المنهج يتصل بتغليبه العوامل الروحية وفي مقدمتها الدين على الجوانب المادية، وظهور اتجاهات حديثة في علم اجتماع المعرفة تدعو إلى إعادة الاهتمام بتقويم الدين بصفته نموذجا يوجه الناس إلى الحياة والمعرفة في العالم (٤). والواقع إن الدين لم يكن غائبا عن الوعي الثقافي-الحضاري الأوربي الغربي، بل إن الدين كان أحد العوامل المتضمنة المفاهيم والتعريفات المتداولة للثقافة ثم في منهج التحليل الثقافي (٥). الا إن العودة المعاصرة للسلفيات تمثل متغيرا جديداً للضغط على المفاهيم الثقافية ومقولات التحليل الثقافي بالدرجة التي أدت إلى الإفصاح عما كان مسكوتا عنه، ويؤدي المحافظون الجدد في أمريكا و أوربا وظيفة جوهرية في توظيف عامل الدين في العلاقات الدولية المعاصرة.

المبحث الأول: **التكيف الثقافي-الحضـــاري للحملة الأمريكية ضـــد الدول العربية الإسلامية**:

احسب أن موضوع التحليل الثقافي- الحضاري للحملة الغربية الأمريكية التي شـنت ضـد العراق حتى عام ٢٠٠٣، والسـودان وليبيا وفلسـطين ومعظم الدول الإسـلامية في العالم مسـكون بالسـياسـة والقيم والعواطف والتي تؤثر ولا شـك في اختيارات الباحث ومسـار تحليله وبرهنته، وإطاره التحليلي ومثل هذه التحيزات ترتبط بطبيعة وســياق المواجهة الغربية ضـــد بعض الدول العربية الاسـلامية من جهة، وطبيعة منهج التحليل الثقافي - الحضـاري الذي يعتمد على رؤى العالم والقيم والصـــور النمطية وقواعد الســلوك من جهة ثانية، ومن هنا وحتى لا نقع في تحيز مضـاد لتحيز الغرب في تناول ومعالجة موضـوع احتلال العراق ٢٠٠٣، وأفغانســتان ٢٠٠٢، وفلســطين ١٩٤٧ وغيرها. نحاول فيما يأتي تحديد المفاهيم المتبعة في الدراســة وتوضــيح أسـباب ومقتضــيات النظر للحملة ضـد الإسـلام والمسـلمين اسـتنادا إلى منهج التحليل الثقافي- الحضـاري، وقد يلحظ القارئ إننا نسـتعمل تعبير حملة غربية ضـد الإسـلام، وذلك نظرا إلى وجود أهداف سـياسـية واقتصـادية وثقافية معلنة أو مضـمرة، مباشـرة أو غير مباشـرة تسـعى إلى تحقيقها مجموعة من الدول التي تنتمي حضـاريا وثقافيا إلى الحضارة الغربية، على حساب دولة عربية مسلمة أو دولة إسلامية معينة تنتمي الى الحضارة الإسلامية، ولا تقارن من حيث موازين القوى بما تملكه تلك الدول الغربية، وهذا التقابل لا يعني بالضـرورة ترسـما للعلاقة بين الحضـارتين على أساس العداء المطلق أو الكراهية المتبادلة، والصراع والصدام إلى يوم القيامة، بل إن وظيفة هذا التقابل تقتصر على مجرد توصيف حالة واقعية، لايمكن فهمها الا في سـياق الموجهات التي ربما تكون قد بدأت مع ظهور الإسـلام وتأسـيس الحضارة الإسلامية، مروراً بالحرب الصليبية والحملات الاستعمارية ووصولاً إلى اللحظة التاريخية الراهنة، وقد أدت هذه المواجهات الى تكوين صـــورة كريهة، مقيتة للعرب والمسـلمين في الوعي الأوربي، خلاف صـورة الأوربي المسيحي التي بدت كريمة عاقلة، مستنيرة في الوعي العربي- الإسلامي[٦].

ولا يتسع المجال لتتبع تلك الجذور التاريخية ومسار الصور النمطية والمدركات المتبادلة، لذلك نكتفي بتقرير حقيقة أثبتتها مختلف الدراسات التاريخية العربية والغربية ومؤداها إن الغرب الاستعماري المسيحي كان هو الطرف البادئ بالصدام والاستعمار، والحريص دائما على تشويه صور العرب والمسلمين والتشكيك في الإسلام، والحط من قيمة الثقافة الإسلامية، بغية فرض إيراداته وإملاء شروطه والسيطرة اقتصاديا وسياسيا ثقافيا على الشعوب العربية والإسلامية، ومنع وحدتها ونهضتها (٧).

وقد اتسمت الهجمات الغربية بالعنف والتركيز على العالم الإسلامي لأنه كان الاستثناء الذي واجه السيطرة الغربية الاستعمارية على الشرق، حتى القرن التاسع عشر، بتحد لم نجد له مثيلا على الصعد السياسية الفكرية والاقتصادية ايضاً، ولزمن قصير (٨).

ان هذه الحقيقة نطرحها بوصفها فرضية تساعد في فهم وتحليل فصول وتداعيات الحملة الغربية ضد الإسلام، إي إننا إمام آلية وقانون اذا جاز التعبير يتكرر من خلال التاريخ الحديث في سياقات مختلفة وبصياغات متباينة، على إن إدراك الإبعاد الثقافية الحضارية في عمر الإلية نفسها ضد العراق والسودان وأفغانستان في الوقت الحاضر يستعدي إلى جانب الجذور التاريخية والصور المتوارثة للصراع بين العرب والمسلمين وبين الغرب، التوقف عند متغيرين جديدين عمقا في حدة الصراعات وإعادة تأكيد أهمية العوامل الثقافية الحضارية في فهم الصراع واستشراف أفاق تطورها.

الأول: الوعي بالمتغيرات الدولية

الثاني: الوعي بمسار الحرب على العراق منذ عام ١٩٩١ وحتى عام ٢٠٠٣ والحرب على أفغانستان ونظرا لترابط وتداخل العاملين في الوعي العربي والإسلامي، فسنعرضها معاً بهدف تقديم الصورة السائدة والتي سمحت بالتكييف الثقافي– الحضاري للحملة ضد العراق وأفغانستان بوصفها مواجهة جديدة تعبر وتصل بسلسلة المواجهات والصدامات التاريخية والمعاصرة بين

العرب والمسلمين وبدرجة أوسع بين دول الجنوب من جهة، والغرب الاستعماري المسيحي من جهة ثانية.

ومنعا للالتباس وسوء الفهم نؤكد غياب أو فقدان إي أوجه للتشابه او المقابلة بين الاتهامات الموجهة للعراق وأفغانستان وبين السلوك العراقي الأفغاني ونتائجه، او بين المواقف العربية والإسلامية في الحالتين، الا إن ثمة امتدادا وتواصلا بينهم من المنظور الثقافي - الحضاري، ولاسيما في ما يتعلق بنتائج الحرب، فا لغرب- او على الأقل حكومات اغلب الدول الغربية – خرجت منتصرة إيديولوجيا واقتصاديا على المعسكر الشيوعي، ثم تلا ذلك تعزيز الليبرالية السياسية والاقتصادية بصفتها أنموذجا للتقدم والحضارة، وبدت أفكار المفكر الاكاديمي فوكاياما وكأنها برنامج عمل ثقافي حضاري للغرب في المرحلة الراهنة، (فالليبرالية هي نقطة النهاية في تطور البشرية الإيديولوجي، ومن ثم أنتشارها في العالم كله بكونها الشكل النهائي للحكومة البشرية، لكن الليبرالية لم تحقق بعد انتصارها الكامل، فثمة إيديولوجيات متنافسة تتلخص في الدين والقومية، والإسلام هو الوحيد الذي يطرح الدول الثيوقراطية كبديل سياسي لكل من (الليبرالية والشيوعية)، ويتابع فوكوياما في تعال واحتقار لكل ما هو غير ليبرالي غربي (إن الجانب الأكبر من العالم الثالث ما زال متخبطاً في أوحال التاريخ، وسيكون ساحة النزاع خلال سنوات طويلة مقبلة[٩].

طرح فوكوياما هذه الأفكار عام ١٩٨٩،وجاءت أزمة احتلال العراق للكويت و الضربة الأمريكية على العراق عام ١٩٩١ وبعدها خاض الغرب حربا بالطائرات والصواريخ ليست سهلة أكد فيها انتصاره السابق على المعسكر الشيوعي، وتعززت مكانة الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها زعيمة مؤقتة لما يعرف بالنظام الدولي الجديد ،كما تعززت مكانة الليبرالية ،حتى أصبحت على حد تعبير باحث غربي (لا تتمتع بالتفوق من حيث الشرعية والجاذبية الإيديولوجية بل أيضا بالتفوق العسكري والاقتصادي وأصبح من الصعب إن تلمح في الأفق، أية قوة غير ديمقراطية قادرة على التحدي سواء على الصعيد الأيديولوجي أو الاقتصادي أو العسكري)[١٠].

في المقابل – وعلى الجانب العربي الإسلامي-من الصعب القول ان اغلبية العرب والمسلمين على مستوى النخب الحاكمة والشعوب بما في ذلك الاطراف التي شاركت في الحرب ضد العراق وأفغانستان قد تعاهدت مع المنتصر الغربي، كذلك فان كل الاطراف العربية والإسلامية التي اختلفت مواقفها في إثناء الأزمة تكاد تتفق بدرجات مختلفة على إن أزمة الكويت ١٩٩٠ وتداعياتها لم تكن في صالح العرب والمسلمين، فقد استفاد منها الغرب و(إسرائيل) في حين تراجعت مكانة العرب والمسلمين وحقوقهم في النظام الدولي الجديد [١١].

وبعيدا عن استخدام أو مناقشة منطق المؤامرة في ما حدث في الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ أو بعده، فان ثمة شعورا عاما، معلنا أو مضمراً، بالإحباط والهزيمة في مواجهة الغرب[١٢]، ولا سيما إن مناخ الحرب على العراق ٢٠٠٣ والمواجهة العسكرية قد سمح لأطراف عربية وإسلامية برؤية ما حدث بوصفه امتدادا للحرب الصليبية والحملات الاستعمارية القديمة التي ترمي الى السيطرة على النفط وإعادة تقسيم المنطقة العربية فقط بل وتدمير الثقافة الإسلامية والهوية العربية، إي تفاعل الوعي والخبرة التاريخية العربية والإسلامية إثناء العدوان الغربي الامريكي على أفغانستان والعراق وحدث ما يعرف بالنظام الدولي الجديد ونتائج الحرب على العراق واحتلاله عام ٢٠٠٣ وعلى العراق وافغانستان مستوى أخر برزت الكراهية والعداء للغرب وربما يكون ذلك رد فعل أو نتيجة للاستعمال المزدوج للشرعية والقانون الدولي، لكراهية الغرب وعدائه للعرب والمسلمين، فقد نجحت الحكومات الغربية في تشويه صورة العرب والمسلمين وتعميق كره الرأي العام الغربي وتكرسيه بوصفهم امة غير متحضرة، وقد كان هذا الكره العامل الأخطر في نجاح استراتيجية العدوان والتدمير التي حكمت الحرب على العراق عام ١٩٩١ ومحاصرته ثم احتلاله عام ٢٠٠٣[١٣].

في هذا الإطار جاءت الحملة الأمريكية للعدوان على العراق وافغانستان في محاولة لاستغلال مناخ وتفاعلات ما يسمى (محاربة الإرهاب) وما تمخض

عنها من انقسام قيمي وسياسي بين الشعوب العربية والإسلامية، ذلك من اجل تأكيد انتصار الغرب وهيمنته السياسية والثقافية على العالم، وفي المقدمة العالمين العربي و الإسلامي، إذ إن العراق بوصفه دولة بقيت على الرغم من كل التحولات الدولية والعربية على مواقفها السياسية وخياراتها الثقافية والإيديولوجية، التي ترفض الإذعان للنموذج ألحضاري الغربي وتجهد في تأكيد استقلالها عن السياسة الغربية، ومن هنا كان القرار الامريكي باختيار العراق وأفغانستان ساحة للمواجهة ومجالا للصراع العسكري والثقافي والحضاري، ويبدو إن سلسلة المواجهات الأفغانية والعراقية الأمريكية والغربية، والصورة السلبية التي رسمها الإعلام الغربي لأفغانستان والعراق ورسخها لدى الرأي العام في الغرب ساعدت على اختيار كل من أفغانستان والعراق، وربما قد دفعت الى هذا الاختيار(١٤).

هكذا بدأت الحملة الاعلامية الشرسة على أفغانستان والعراق في إعقاب الحرب عليهما مباشرة، بل قبل إن تطفأ نيران الحرب، وتتمكن الأمة العربية والإسلامية من تجاوز حالة الانقسام القيمي والثقافي العميق الذي أفصحت عنه، وفي الواقع إن هذا التعاقب كان من التقارب بحيث يمكن النظر إليه وبوصفه حالة من واحدة زاوية المواجهة الحضارية - الثقافية التي انفردت الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة بالربط بين اتهام عدد من الدول العربية و الإسلامية منها أفغانستان والعراق بوصفها دولا مارقة، ثم أصدرت بعض الدول الغربية بزعامة أمريكا حكما دون موافقة الأمم المتحدة باحتلال العراق عام ٢٠٠٣ قبل التحقيق في اكاذيب امتلاكه أسلحة دمار شامل، واتخذ الطلب صيغة استخدام القوة العسكرية إلى جانب العقوبات الاقتصادية والحظر رحلات الطيران لعدم استجابة السلطات العراقية للمطالب الغربية– الأمريكية. وقد رفضت الحكومات الغربية طلب العراق بقيام البرلمان البريطاني بالتحقيق في صحة الاتهامات الموجهة للعراق وكذلك الكونغرس، ومن ثم امتنعت عن تقديم أدلة الاتهام أو المشاركة في إجراءات التفتيش في العراق (١٥). الا إن بعض الافتراءات والأكاذيب ثبت بطلانها ولكن بعد احتلال العراق.

على إن الهدف السياسي يخفي أهدافا ثقافية–حضارية أو بعبارة أدق إن ما هو ثقافي- حضاري يتوسل بما هو سياسي، فالعراق بوصفه دولة وشعب ينتمي إلى الأمة العربية والإسلامية، من هنا فالحملة الغربية لا تقتصر من الناحيتين السياسية والثقافية على العراق، بل تستهدف العروبة والإسلام بوصفها نموذج وقيم واليات وقواعد سلوك وأعراف تتناقض مع الليبرالية الغربية، ويمثل العراق منافسا إيديولوجيا، صحيح إن الإسلام هو المنافس الوحيد كما يرى (فوكوياما) الا انه على أية حال يبقى المنافس الوحيد الذي يطرح نموذجا للدولة والمجتمع(١٦).

لذلك نلاحظ التزامن المخطط على العراق منذ عام ١٩٩١ حتى عام ٢٠٠٣ واحتلاله مع تصاعد الحملة على العرب والإسلام، فقد اصدرا مؤخرا المدعو (جون كلودبارو) الذي يعمل رئيساً لديوان الهجرة الفرنسي كتابا يشتم فيه الإسلام والمسلمين ويثير ضدهم الحقد والسخرية، ولقي الكتاب انتشارا إعلاميا لم تحض به إي رائعة فنية أو أدبية بل تسند إليه جائزة شهيرة في عالم الكتاب الفرنسي هي جائزة اليوم(١٧).

ويعلن مسؤول فرنسي أخر وهو وزير سابق للمرة الثانية خلال عام واحد إن العرب وهم (١٨). والعرب صامتون إزاء هذه الافتراءات! ولكن نسترسل في تقديم نماذج أخرى من تصريحات وكتابات مفكرين ومسئولين غربيين تزامنت مع الحملة ضد العراق واستهدفت النيل من العرب والإسلام، لان ما تسعى إليه هذه الدراسة هو تحليل الجوانب الثقافية الحضارية. ولا سيما الرؤى العامة للعالم والقيم المدركات لا البرهنة التفصيلية على إشكالها ومضامينها والأدوات المستخدمة في ترويجها ،وان ما نود تأكيده هو ان الحملة على العراق واحتلاله عام ٢٠٠٣ جاءت من إطار المواجهة الحضارية الثقافية بين العرب والمسلمين من جهة، والغرب المسيحي الاستعماري الذي يقوده المحافظون الجدد من جهة أخرى، ثم تلا ذلك صراحة أو ضمننا الربط بين أفغانستان والعراق والعرب والمسلمين والتخلف والعنف والافتقار إلى القانون والقضاء والعدل ومن ثم ادعت حق الدول الغربية منفردة في القيم بوظيفة

القاضي والشاهد وتحديد المجني عليه، وعدم أهلية القضاء العربي أو الإسلامي في التحقيق في صحة الاتهامات الموجهة بحق أفغانستان والعراق[١٩]. في المقابل وعلى الصعيد العربي الإسلامي، يمكن القول: إن هناك إدراكا متناميا للمخاطر السياسية للحملة على الإسلام والمسلمين وبدرجة اقل للإبعاد والدلالات الثقافية –الحضارية، ومع ذلك فقد أدت دورا محركا في تحقيق اتفاق عربي اسلامي عام في دعم الموقف الأفغاني – العراقي ورفض منطق واليات الحملة الأمريكية البريطانية وقد عكست الصحافة العربية والإسلامية على اختلاف مرافقها السياسية وانتماءاتها الحزبية وتوجهاتها الفكرية هذا الموقف وساعدت في بلورته وحذرت من تكرار حدوث الانقسام والتفرقة [٢٠]. من ناحية أخرى أكدت قرارات الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي الموقف نفسه، وقد يبدو اتفاق الحكومات العربية والإسلامية مجرد موقف سياسي، ولاسيما إن الدول العربية والإسلامية تخشى تكرار ما حدث في العراق منذ عام ١٩٩١ ولغاية ٢٠٠٣ معها، لكن المؤكد أن الاتفاق في جوهرة ثقافي حضاري يعبر بدرجات مختلفة عن الوعي بالمواجهة العربية والإسلامية للغرب، فالاتفاق هو الأول من نوعه بين الدول العربية منذ اندلاع الحرب على العراق في عام ١٩٩١، وهو ما يشير إلى بادرة أولى لتجاوز حالة الانقسام والصراع التي واكبت الحرب على العراق ٢٠٠٣ كما يؤكد تمازج الوعي العربي الإسلامي على مستوى الحكومات والشعوب بالعراق وافغانستان بوصفه معبرا ثقافيا – حضاريا عنه، ومحاولته نفي ما اثير من شكوك حول مصداقية تأثير مشاعر الإسلام وقيمها ولا شك أن رفض الحكومات الغربية وتجاهل مقترحات الجامعة العربية بتشكيل لجنة دولية عربية تعمل على تعميق الوعي العربي– الإسلامي بالمواجهة الثقافية– الحضارية مع الغرب، الأمر يؤكد في التحليل الأخر إننا إزاء مواجهة يعي الطرفان مضمونها الثقافي و الحضاري، وان لم يعلنا ذلك صراحة آو بدا الغرب يلمح عنها بصراحة، وبالتدريج من غير حياء من احد.

المبحث الثاني: تحليل العوامل الثقافية-الحضارية في الحملة ضد الإسلام:

اذا كانت الحملة الغربية الحالية على الإسلام تدخل في السياق التاريخي والمعاصر لصراع الغرب الثقافي – الحضاري ضد العرب والإسلام، ولا تقتصر على دول معينة، بل تستهدف العرب والإسلام، بصفة نموذج حياة وقيم وسلوكيات مغايرة لليبرالية الغربية ،اذا كان الأمر كذلك، فان هناك أهمية بالغة لتحليل العوامل الثقافية – الحضارية المعلنة أو المسكوت عنها والتي تحرك هذه المواجهة، وتتذرع بتقديمها في قالب سياسي – قانوني في أيامنا المعاصرة حول اتهام أفغانستان والعراق والمملكة العربية السعودية ومصر بتهديد الأمن والسلام في العالم وحيازتهم بعض الأسلحة الممنوعة دوليا وانتهاكهم جميعا مبادئ حقوق الإنسان والأقليات، بعبارة أخرى أذا كنا قد كشفنا عن الجوانب الثقافية – الحضارية في الحملة ضد الإسلام، وكذلك وعي اطرافها، بدرجات مختلفة، بهذه الجوانب، فتبقى بعد ذلك مهمة تحليل العوامل التي تحركها، والتي عادة ما يجري إخفاؤها والسكوت عنها في إطار التوسل بما هو سياسي ويركز التحليل على ثلاث عوامل رئيسة هي :

١. صورة العرب والمسلمين في الوعي الغربي.
٢. العداء للعرب والإسلام بديلا عن الشيوعية.
٣. صورة العرب في الوعي العربي الإسلامي.

وثمة عوامل أخرى عدة ثقافية – حضارية تتصل بالحملة الأمريكية الصهيونية ضد الإسلام، غير إننا سنقتصر على هذه العوامل الثلاثة لأنها في تصورنا الأكثر بروزا وتأثيراً في مسار المواجهة ومستقبلها، فضلا عن رسوخها في رؤى العالم ومنظومة القيم السائدة والمدركات لدى كل من العالم الغربي والعالم الإسلامي، أي أنها ليست عوامل طارئة او متغيرة، فقد تشكلت واستقرت من خلال تأريخ المواجهات بين الطرفين، واستخدمت واعد استخدامها بحسب طبيعة كل مواجهة وسياقاتها والظروف الداخلية والتحديات التي تقابل كل طرف على حدة.

ولا يمكن فهم وتحليل مصـــداقية العوامل الثقافية – الحضـــارية ووظيفتها في الحملة الغربية على العرب والمســـلمين، والتي تتذرع بأحداث ١١ أيلول عام ٢٠٠١ وما تسمى بالحرب على الإرهاب ألا في ضوء ما يأتي:

١. أزمة الحضارة الغربية، لا سيما بعد تفاقم المشكلات الاقتصادية والسياسية والفكرية.
٢. انتهاء الحرب الباردة وتقويض الشـــيوعية بوصـــفها نظاما وأيديولوجية، وبروز مشـــكلات ما بعد الحداثة جنبا الى جنب مع انتصـــار الليبرالية السياسية والأيديولوجية والحديث عن نهاية التاريخ.
٣. أزمة التنمية المستقلة والتحرر الوطني في العالم الإسلامي.
٤. الصحوة الإسلامية والصراع نحو الهوية الثقافية والسياسية في المجتمعات العربية والإسلامية.
٥. الانعكاســـات الســـلبية للتحولات في النظام الدولي على القضـــايا العربية والإســـلامية، والاتجاه نحو إضـــعاف دول الجنوب والمقصـــود بها الدول النامية.
٦. نتائج وتداعيات العدوان على أفغانســـتان والعراق وفلســـطين واســـتمرار احتلالها، ان هذه المتغيرات تشـــكل الإطار العام الذي حدد طبيعة ومســـار الجوانب المختلفة للحملة الغربية الأمريكية ضد الإسلام، ولا سيما الجوانب الثقافية الحضـــارية، والعوامل التي تقف وراءها وتحركها، والتي تنتمي أيضـا إلى الحقل الثقافي الحضـاري على الرغم من تأثيرها بما هو سياسـي واقتصـادي، وتوسـلها أحيانا بما هو سياسـي واقتصـادي، وقد تتضـح إبعاد العلاقة عند تحليل العوامل الثقافية الحضـارية وكيفية اسـتخدامها وتوظيفها في الحملة الغربية/ الأمريكية ومدى تأثيرها على تحديد إدراك واســـتجابة العرب والمسلمين، وسنركز بحثنا على الجانب الأول على النحو الأتي :

تتفق الدراســـات العربية والغربية التي عنيت بصـــورة العرب والمســـلمين في الوعي الغربي على وجود صورة نمطية سلبية راسخة في وعي إفراد النخبة أو الرأي الغربي، وعادة ما يجري العامل مع القضـــايا العربية والإســـلامية وفق

مكونات هذه الصورة، والتي تعني كما يقول والتر ليبرمان(walter liprman) معرفة الأشياء أولاً ثم رؤيتها، فنرى في الخصم ما سبق لحضارتنا أن عرفته لنا(٢١).

وتؤدي المواريث التاريخية التي نجد جذورها في الصراع الديني والحروب الصليبية والصراع الاستعماري، فضلا عن عمليات التنشئة الاجتماعية ووسائل الأعلام الغربية والمنظمات الصهيونية ووظائف مهمة في تكوين هذه الصورة ونشرها.

وعلى الرغم من الخصوصيات القومية في الحضارة الغربية، وتباين التجارب التاريخية ومستويات الاتصال بالعرب والمسلمين فانه يوجد اتفاق كبير في كل المجتمعات الغربية في إدراك صورة العرب والمسلمين والوعي بالإسلام، ففي الولايات المتحدة الأمريكية يحتل العربي المسلم مكانة بارزة في الإعلام غير أنها تحمل قيماً سلبية، فهو مخرب يقاوم وجود (إسرائيل) والغرب في الشرق الأوسط وبوصفه عقبة ضرورية يجب تجاوزها لخلق (إسرائيل) عام ١٩٤٨ والتي تعد امتداد حضاريا للغرب (٢٢).

ويرتبط العربي المسلم في الأفلام والتلفاز إما (بالغدر والخديعة المتعطشة للدم، ويظهر منحلاً، ذا طاقة جنسية مفرطة، قديرا دون شك على المكيدة البارعة المراوغة لكنه جوهرياً سادي، منحط، تاجر رقيق راكب جمال، صلف وغد، متعدد الظلال) (٢٣).

لقد أعطت الصحافة ووسائل الإعلام الأمريكية بشكل دائم صورة تبين أن العرب المسلمين "يهددون سياساتنا كما يهددون اقتصاد امتنا". مع انه حصل عام ١٩٧٣ تغير سير ذلك، ألا إن أغلبية المقالات الصحفية مازالت تعد العرب والمسلمين هم الأعداء لا بل أن صورة العربي المسلم بكونه يهدد الأمن والسلام قد تفاقم بشكل مبالغ فيه في التلفزة (٢٤).

وقد أدى ترديد هذه الصورة إلى (تزويد الشعب الأمريكي بصورة جامدة ومكروهة ولا معنى لها للعربي المسلم في الوقت الحاضر وفي الثقافة الأمريكية. وما زال العرب المسلمون يشكلون إحدى المجموعات القومية

النادرة التي تتعرض للافتراء عليها دون عقوبة في أمريكا) [٢٥]. وفي استفتاء قامت به مؤسسة أمريكية خاصة شارك فيه(٦٠٠) أمريكي اتضح أن صفة العرب المسلمين ترتبط بصفات القسوة أكثر من ارتباطها بالصفات المنسوبة إلى المكسيكين مثلا، وصورتهم بالأجمال سلبية، تأتي الثروة والقوة لتغذي الشعور بأن العرب المسلمين يشكلون تهديدا لأمريكا. وكشف الاستطلاع أن الأقلية التي تنظر إلى الإسلام لديها نظرة ايجابية عن العرب، والعكس صحيح، الأمر الذي يتم على أن هناك مطابقة بين العرب والمسلمين [٢٦].

ويعلق أحد الصحفيين على الصورة التي خلقها الإعلام الأمريكي على الإنسان العربي بقوله: (ان كلمة العرب أو الإسلام أصبحت تعني للإنسان الغربي تخيلات مثل إرهاب، خطف الطائرات، قتال، تمرد، بترول، رماد، عنف، قساوة، طمع، شراهة، تلفيق، كائنات بدائية، خصام عائلي، وتجارة الرقيق الأبيض [٢٧].

ومع أزمة الطاقة عام ١٩٧٣ وارتفاع أسعار النفط سعى الإعلام الغربي إلى تحميل العرب – المسلمين مسؤولية ما حدث. ومن ثم توظيف الصورة النمطية للعرب والمسلمين مع تحميلها المزيد من الدلالات السلبية الجديدة التي تتفق مع مقتضيات المواجهة البترولية والبذخ الفاضح الذي مارسته أقلية عربية ضئيلة، من هنا كثر الحديث، وكثرت الكتابة في الغرب وبشكل مبالغ فيه عن الثروة العربية الإسلامية (ورأى بعضنا حقا عددا من العرب يتباهون بثروتهم أو هذا ما بدى لنا منهم) نجدهم (في كبرى المخازن التجارية والفنادق ودور اللهو الليلية في عواصمنا أو في المناطق الترفيهية مثل جبال الألب، والشاطئ اللازوردي، وشاطئ الشمس ولم يتوقف معظمنا ليتساءل عما تمثله تلك الثروة التي قد تقدر بـ (١٠٠) مليون دولار يملكها احدهم وأن كانت في الحقيقة تحسنا في أحوالهم، وان سألنا تلك الأسئلة فان الأجوبة كثيرا ما وطدت إحساسنا الغريزي بان الثروة وقعت في أيد لا تستحقها، وان أقلية من العرب الكسالى والذين هم ليسوا أهلا لذلك استغنوا على حسابنا) [٢٨].

وبصفة عامة فان رأي الجمهور الأمريكي عن شعوب الشرق الأوسط سواء كانوا عربا أو إيرانيين أو أتراكا، أم غيرهم يظل في الأساس رأيا يأخذ بالقوالب الذهنية الثابتة، رأيا سطحيا لا يدعوا إلى الإعجاب مع ملاحظة أن العرب المسلمين من بين جميع سكان الشرق الأوسط فضلا عن دولتي إيران وتركيا المسلمتين هم الذين ينظر أليهم بصورة سلبية جداً [٢٩].

ويقترن تشويه صورة العرب بتشويه الإسلام، فقد تم تشخيص (٣٦) كتاباً مدرسياً للعلوم الاجتماعية مقررة على طلبة المدارس الابتدائية والمتوسطة في ولاية كاليفورنيا في العام الدراسي ١٩٧٤/١٩٧٥ على وجود صورة مشوهة للإسلام تفرط في تأكيد عدوانيتها، فضلا عن صورة الرق ومركز المرأة المتدني، كما خلط مؤلفو الكتب المدرسية عمدا بين القران والأحاديث النبوية الشريفة، وجرى تصوير العرب بوصفهم شعبا متخلفاً [٣٠].

ولا تنتشر المعاني والصورة السلبية للعرب والإسلام والعرب المسلمين بين أوساط الرأي العام الغربي فقط، بل امتدت إلى دوائر النخبة وصناع القرار السياسي سواء عن قصد آم من غير قصد (فالكتب المدرسية المتوفرة باللغة الانكليزية والتي تهاجم وتقدم الإسلام وثقافته إلفها المستشرقون، والمبشرون، والمستعمرون وضمنوها وجهات نظرهم بما فيها من حقد وتهجم وازدراء وتشكيك وذلك على مستوى التعليم الجامعي [٣١].

ولا تختلف كثيرا مكونات الصورة الذهنية للعرب والمسلمين والإسلام في الولايات المتحدة عن مثيلاتها في الدول الأوربية[٣٢]، ففي ألمانيا الاتحادية انتهى باحث عربي من تحليل لعدد من الدراسات التي أجريت عن صورة العرب والمسلمين في ألمانيا جاء فيه إن الصورة العربية التي قدمت إلى الرأي العام الألماني حتى حرب تشرين ١٩٧٣ تقوم على (أن العربي متخلف ورجعي، ولم يكن جنديا جيدا، انه يهرب إلى الصحراء إمام الجيش الإسرائيلي، وهو أيضا ليس على معرفة بالتقنية الحديثة والتنظيم الحديث لأنها غريبة على نمط تفكيره الشرقي، وهو حالم خيالي شغوف بتناول القهوة ويحب النوم. .. وهو إرهابي جبان غدار، أما الأصوات القليلة التي ظهرت في الصحافة لترسم

صـورة أفضـل للعربي المسـلم فقد ضـاعت في إطار هذا التحيز الكامل ضـد العرب والإسلام (٣٣).

وعلى الرغم من تحسـن هذه الصـورة بعد حرب تشـرين ١٩٧٣ فان صـورة الفلسـطيني ظلت ضـمن سـلبية مقاييس الإرهاب والعنف دون تفهم لظروف الفلسطينيين السياسية وحقيقة مشكلتهم (٣٤).

ويمكن القول إن تطابق مكونات تلك الصـورة وترابطها في الدول الغربية يؤكد أهمية المتغير الثقافي –الحضـاري، ولا سـيما فيما يتعلق بالموروثات التاريخية والمعتقدات الدينية وأثرها في تشكيل الصـورة المشـوهة عن العرب والمسلمين ونشرها من خلال وسائل الأعلام الغربية التي تعبر عن المصـالح الغربية، وثم عن زاوية النظر إلى ما هو عربي وإسـلامي وفقا لمصـالحها السـياسـية والاقتصادية.

والمرجح أن اختلاف المعالجات الإعلامية في تقديم صـورة هذا البلد العربي أو ذلك لن يؤثر في المدى القريب في الصـورة الذهنية الراسـخة في الوعي الغربي عن العرب والمسلمين، وما الإشـارة إلى تغيير المعالجات الإعلامية تجاه بعض الأنظمة العربية الموالية للغرب إلا لإثبات طبيعة التوظيف السياسي والاستخدام الدعائي، لبعض مكونات الصـورة النمطية السـائدة عن العرب والمسـلمين دون أن يصل الأمر إلى المحاولة الجادة لتغييرها (٣٥).

على إي حال فان الإعلام الغربي قد اسـتدعى مكونات الصـورة المشـوهة عن العرب والمسـلمين ووظفها في إثناء الحرب على العراق وركز عليها دون إن يميز بين مواقف الشـعوب والحكومات العربية الإسـلامية من مجريات الأزمة.

ومن الواضـح إننا نشـهد حالة مماثلة في الحملة الغربية الأمريكية ضـد الإسـلام والمسلمين تقدم عن العراق وأفغانستان وسورية والسودان ومصر في وسائل الأعلام الغربية، تعتمد على مكونات الصورة السلبية للعرب والمسلمين وتسعى إلى اسـتدعاء تلك المكونات وتوظيفها من اجل تحقيق الأهداف السـياسـية الاقتصـادية من وراء حملتها ضـد الإسـلام والمسـلمين، فضـلا عن تكريس الصورة السلبية للعرب والمسلمين والعرب والإسلام، والتي استقرت في الوعي

الأوربي، فالعراق على سبيل المثال بلد عربي إسلامي، أو على الأقل – بالنسبة للمواطن العادي في الغرب – بلد ينتمي إلى الشـــرق الأوســـط تلك المنطقة المتخلفة تعج بالحروب والفوضـــى والإرهاب، ويعيش فيها العرب المســـلمون المتخلفون إلى أخر القائمة الطويلة من الصـــفات الســـلبية وبالتالي فمن الطبيعي ولكون الشعب العراقي من سكان هذه المنطقة، إي من العرب المسلمين، من هنا يمكن تفسـير قصـر الاتهامات الغربية على العراق وعده مهدداً للسـلام والأمن العالميين.

وتعكس هذه الانتقادات ما يمكن إن يتصـوره الغرب من مصـالح بهذه الأطراف من جهة، ومصـــالحه في المنطقة من جهة أخرى على ان هذه الانتقادات ظلت في التحليل الأخير محصورة في إطراف عربية إسلامية ثم كان من الطبيعي ان تتحرك الحملة باتجاه أفغانسـتان والعراق أولا، ولا سـيما إنهما مرشـحان أكثر منها لمثل هذا الدور، ليس لمواقفهما المعارضـــة للنفوذ الغربي في المنطقة فحسـب، بل لان الصـورة التي تسـود في الغرب عن العرب والمسـلمين تنطبق تماما على العراق وافغانسـتان و كانت وسـائل الأعلام الأمريكية قد أدت دورا كبيرا في خلق هذه الصـــورة خلال المواجهات الأمريكية الأفغانية والأمريكية العراقية واستحضـارها للتمهيد لتوجيه ضـربة عسكرية إلى أفغانستان والعراق عام ٢٠٠٢و٢٠٠٣، بعبارة أخرى كان كل من أفغانســتان والعراق بمثابة نموذجيين مثاليين لتجسـيد الصـورة التي يمتلكها الغرب عن العرب والمسـلمين ومن ثم بدا من الأيســـر توظيفها في حملة اســـتعمارية جديدة، فمادام كل من العراق وافغانسـتان قد صـورا على إنهما دول خارجة عن القانون، تؤوي القتلة والإرهابيين[٣٦]. وترعى جماعات إرهابية من كل انحاء العالم [٣٧]. فلا بد من أن تكونا مســؤولتين عن تهديداتهما للكيان الصـــهيوني وأنهما تهددان جارتهما (ويدخلون دول الجوار كخديعة). ومن الطبيعي والمنطقي أيضـا وفق مكونات الصـورة النمطية عن أفغانسـتان والعراق أن يقوم مواطنوها بالأعمال العدوانية التي تعتمد على الغدر والخديعة والجبن، والتي تمثل مع غيرها أوصاف تتطابق مع مكونات الصورة النمطية والسائدة في الوعي الغربي عن العرب والمسلمين.

ومادامت تلك هي الصـــورة عن العرب والمســـلمين فمن حق الغرب الانفراد بـالعدوان عليـه، وتوجيـه الاتهـامـات وتحـديـد المخـالفـات والمطـالبـة بمحـاكمتهم بالموت والفقر، فالإســلام اســتنادا الى مكونات الصــورة الســابقة وآلية التفكير والتوصـيف السـياسـي الغربي مكون من مجموعة دول مختلفة ترعى الإرهاب، ولا تعرف القانون أو القضــاء العادل، ثم تلا ذلك تصــوير الإســلام في الخطاب الغربي المعلن في مستوى أدنى من الحضارة الغربية.

الخاتمة

أن التركيز على الجوانب السياسية والقانونية والاقتصادية للازمة الأمريكية – الإسلامية يقضـي إلى وعي مزيف بالموضـوع ويؤدي إلى نوع من الاسـتسـلام للمنطق الغربي، والتعامل مع المواجهة بالكيفية التي يريدها ويســـتفيد منها في تحقيق اغراضـه، ومن هنا تأتي أهمية كشـف الجوانب الثقافية – الحضـارية في الأزمة وتحليلها.

وقد اتضح من التحليل إننا إزاء حملة غربية ضد الإسلام والمسلمين تتذرع بما هو سياسي لتحقيق أهداف ثقافية حضارية تتعلق بشعور الغرب الاستعماري في تلك اللحظة بالانتصـــار في الحرب الباردة، وضـــرورة فرض هيمنته الثقافية – الحضارية والسياسية والاقتصادية على العالم، وهو ما يتطلب مواجهة الإسلام والعرب المسـلمين ومحاصـرتهم لأنهم المرشـحون الوحيدون في عالم الجنوب لمقاومه ومنافسته. وفي هذا السياق كشفنا استنادا إلى الجذور التاريخية للعلاقة بين المسلمين والغرب والتحولات في النظام الدولي ونتائج العدوان على العراق وافغانستان عن إن الحملة تتجاوز أفغانستان والعراق بوصفهما دولتين وشعبين لتحتل مكانها في سلسلة المواجهات والصدامات التاريخية المعاصرة بين الغرب من جهة وبين العرب المسلمين ودول الجنوب من جهة ثانية.

ولعل ما يؤكد مصـــداقية هذا الفهم وأهميته ذلك التزامن المخطط للحملة على أفغانسـتان والعراق، وتصـاعد الحملة على العرب والإسـلام في الغرب، وتعنت الغرب في إعقاب إحداث ١١ أيلول ٢٠١١ والاصـــرار على تصـــعيد الحملة والعدوان على أفغانســتان والعراق، مع رفض كل محاولات الحوار والتفاوض

والاحتكام الدولي لمجلس الأمن الذي بات مسيطرا عليه من قبل الولايات المتحدة على أن اختيار أفغانستان والعراق ساحة للمواجهة الحضارية دون غيرها من البلاد العربية والإسلامية له ما يسوغه في ضوء وضعية التجربتين الأفغانية والعراقية داخليا وخارجيا وأثرهما في المنطقة العربية والإسلامية، والصور النمطية السلبية التي صنعها الأعلام الغربي ورسخها على أفغانستان والعراق لدى الرأي العام الغربي. في المقابل ولدت الحملة الغربية وعيا متناميا في العالم الإسلامي بالمخاطر السياسية والاقتصادية المترتبة على الحملة الغربية ضد الاسلام والمسلمين وبدرجة اقل بالإبعاد والدلالات الثقافية – الحضارية، ومع ذلك فقد أدت العوامل الثقافية – الحضارية دورا محركا في تحقيق اتفاق عربي إسلامي عام على دعم الموقف الأفغاني والعراقي، وتصاعد هذا الدور مع تصاعد الحملة على الإسلام والمسلمين ورفض الولايات المتحدة وتجاهلها لموقف ومقترحات الحكومات والشعوب الغربية والعالم كله الذي لا يلغي الحقد والعداء الغربي للعرب والمسلمين.

ونظراً لأهمية الجوانب الثقافية الحضارية في الحملة الغربية، فقد انتقلت الدراسة لتحليل العوامل التي تحركها ممثلة في الصورة السلبية للعرب المسلمين في الوعي الغربي، ومحاولة الغرب من خلال الحملة على الإسلام والمسلمين استحضار الصورة وتأكيدها وكذلك دعم رؤيته المتحيزة للعالم الغربي والتي تقوم على مركزية الحضارة الغربية، ونفي الحضارات الأخرى واستعبادها والنظر أليها باستعلاء عنصري، ومن خلال تاريخ الغرب ومنظومته الحضارية فضلا عن تقديم العرب والإسلام بوصفهما خصمين عدوين بديلين عن الشيوعية.

ووفقاً لرؤية الغرب إلى العالم، وللعرب والمسلمين، ولنفسه، فان دول العالم العربي هي بلدان عربية إسلامية تنتمي إلى ذلك الجزء المختلف من العالم، الذي ينتشر فيه الإرهاب والعنف، ولا يعرف القانون والعدالة، كما يصبح من العدل وفقا للرؤية الغربية للعالم أن ينفرد الغرب المتقدم صاحب الحضارة الوحيدة بالتحقيق من خلو العالم العربي من أسلحة الدمار الشامل وتوجيه

الاتهامات أليه، بل إصدار حكم قبل التحقيق، وتوظيف القانون والشرعية الدولية ومجلس الأمن لتحقيق مصالح الغرب التي تتذرع بقيم ومقولات زائفة عن الحق والعدل واحترام الشرعية، ويمكننا القول أن حالة الانتصار التي يعيشها الغرب بعد الحرب الباردة لا تكتمل على مستوى التاريخ والمستقبل الا بوجود عدو، من هنا جاء اختيار العرب المسلمين بوصفهم العدو التقليدي ولا سيما أن لهم حضورا في الخبرة التاريخية والوعي الأوربيين، في التصور المعقد عند الحركة المسيحية الأصولية باتجاهها إلى الصهيونية.

إن تفاعل هذه العوامل مع مسار الحملة الغربية وتداعياتها على الإسلام والمسلمين بوصفها حملة موجهة ضد العرب والإسلام، كما في الدائرة الأولى ،ومجتمعات الجنوب في الدائرة الثانية، قد يفضي إلى بدايات جديدة للوعي والتحرك النهضوي لتجاوز حالة الوهن، وتحقيق وحدة الإسلام، كما قد يقضي في المقابل إلى دعم صورة الغرب السلبية في الوعي الإسلامي وتعزيز الرؤى العربية الإسلامية التي تدعو إلى رفض كل ما هو غربي والصدام معه وهو الموقف الذي حذرنا منه لأنه يؤدي إلى انغلاق على الذات وخصام مع الواقع والعصر وربما إلى عنصرية مشابها لعنصرية الغرب وتميزه في رؤيته للعالم، وهي مسارات لا تتفق ومسلمات بنية الفكر العربي الإسلامي وتطلعه إلى بناء جديد قائم على أسس العدل والمساواة والحوار والتعاون بين الحضارات والدول والقوميات. لأنها رؤية الإسلام الإنسانية للعلاقات بين الدول والحضارات ووفقا للقانون الدولي وقواعده وإحكامه.

الهوامش:

(١) وحدة التوثيق والمعلومات وثائق وتحليلات مركز دراسات العالم الإسلامي مالطا ،١٩٩٢، ص٢.

(٢) سيد يس، "التحليل الثقافي لأزمة الخليج"، "المستقبل العربي"، (مجلة)، بيروت، العدد ١٤٨ تموز، يونيو،١٩٩١، و. ت. ص٣٠-٤٧.

(٣) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، القاهرة، الدار الفنية،١٩٩١، ص٧٢.

(4) Time don't ،Knowledge ideology ،discourse London ،Routlege ، 1991، p. 231.

(٥) ت. س اليوت، ملاحظات حول تعريف الثقافة، ترجمة شكري محمد عياد القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، د. ت. ص ٤٨ – ٧٩.

(٦) حسن حنفي، المصدر السابق، ص ٣٠ – ٧٠.

(٧) ادوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ١٠١ – ١٢٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(9) Francis Fukuyama ،End of History ،National interest ،16 summer 1989 ،PP: 18-20.

(١٠) مارك بلاتنر، الديمقراطية، الكتاب الأول، مركز دراسات التنمية السياسية والدولية، ديسمبر، ١٩٩١، ص ٢٩ – ٤٠.

(١١) إبراهيم حلمي عبد الرحمن، "التطورات الدولية الجارية"، (الأهرام الاقتصادي)، (مجلة)، القاهرة، العدد ٣٧، مارس، ١٩٩١، ص ٢٤ -٣٤.

(١٢) راشد الغنوشي، الحركة الإسلامية والنظام الدولي، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الشعبي الإسلامي الخرطوم، د. ت.

(١٣) برهان غليون، حرب الخليج والمواجهات في صفحات من سجل الإرهاب الأميركي منشورات رسالة الجهاد، مالطا، ابريل، ١٩٨٨، ص ٢٦١ – ٢٧٣.

(١٤) المصدر نفسه، ص٢٦١ – ٢٧٣.

(١٥) عبد الغفور علي، الاستراتيجية الجديدة للأمن القومي الأميركي مبدأ بوش، بغداد، ٢٠٠٤، ص ٦٠.

(١٦) عثمان حسين عبد الله، دراسة قانونية لطلب التسليم، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٣٧

(١٧) احمد الهر قام، "كل عدوان والعرب طيبون"، مجلة حقائق، تونس، ١٩٩١/١٢/٥.

(١٨) جميل مطر، العرب وهم، "الحياة اللندنية"، (جريدة)، لبنان، العددان ٢١ – ٢٢، ١٩٩٢.

(١٩) وحدة التوثيق والمعلومات، المصدر السابق، ص ١-٢.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٢.

(21) Eysenck. h. j uses and abuses of psychology London ،penguin books 1952، p. 260.

(٢٢) ادوارد سعيد، المصدر السابق، ص ٢٨٦.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٧.

(٢٤) شبلي سلاد، "صورة العربي في أمريكا، تحليل الاستقصاء حول موقف الأمريكيين"، (مجلة الشرق الأوسط)، ربيع ١٩٨١.
(٢٥) شبلي سلاد المصدر السابق، ص٢٧٠.
(٢٦) المصدر نفسه السابق، ص ٢٩٥.
(27) Jack shaheen ،the Arab stereotype on t. v the link ،vol. 21 ،B ،No. 2، April – May ،1980. p. 12.
(٢٨) ادوارد مورتيمر، "الحضارة الغربية في عالمنا المعاصر، الإبعاد الداخلية والخارجية لمرحلة انتقالية"، " شؤون عربية"، (مجلة)، القاهرة، العدد ٢٩، يوليو، ١٩٨٣، ص ٧٠ – ٨٤.
(٢٩) ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين، ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧. ص ١٦.
(٣٠) حلمي خضر ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية، ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨، ص ٨٦ – ٨٩.
(٣١) إسماعيل راجي الفاروق، "حول أنشاء كراسي أستاذية للدراسات الإسلامية في ألجامعات الأمريكية"، "مجلة المسلم المعاصر"، العدد ٣، أبريل– مايو ١٩٨٥، ص١٠١ –١١٠.
(٣٢) حلمي خضر ساري، مرجع سابق، ص٨٠.
(٣٣) سامي مسلم، صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥، ص ٧٥.
(٣٤) المصدر نفسه، ص ١٨٧ – ١٩٥.
(٣٥) ميخائيل سليمان، المصدر السابق، ص ١١٥ -١١٦.
(36) News week. U. S. A، 9/1/ 1989.
(37) The Economist، London، 1/1/1989.

قائمة المصادر والمراجع:

اولاً: الوثائق العربية المنشورة

١. وحدة التوثيق والمعلومات وثائق وتحليلات مركز دراسات العالم الاسلامي، مالطا، ١٩٩٢.

ثانياً: الكتب العربية والمعربة

٢. ادوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال ابو ديب، بيروت، مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٨٤.

٣. برهان غليون، حرب الخليج والمواجهات في صفحات من سجل الارهاب الامريكي، منشورات رسالة الجهاد، مالطا، ابريل، ١٩٨٨.
٤. ت. س اليوت، ملاحظات حول تعريف الثقافة، ترجمة شكري محمد عياد، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، د. ت.
٥. حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، القاهرة، الدار الفنية، ١٩٩١.
٦. حلمي خضر ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية، ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨.
٧. راشد الغنوشي، الحركة الاسلامية والنظام الدولي، ورقة مقدمة الى المؤتمر الشعبي الاسلامي الخرطوم، د. ب.
٨. سامي مسلم، صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥.
٩. عبد الغفور علي، الاستراتيجية الجديدة للأمن القومي الاميركي مبدأ بوش، بغداد، ٢٠٠٤.
١٠. عثمان حسين عبد الله، دراسة قانونية لطلب التسليم، القاهرة ١٩٩٢.
١١. مارك بلاتنر، الديمقراطية، الكتاب الاول، مركز دراسات التنمية السياسية والدولية، ديسمبر، ١٩٩١.
١٢. ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الامريكيين، ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧.

ثالثاً: الكتب باللغة الانكليزية

1. Eysenck. H. J، Uses and abuses of Psychology London، Penguin book. 1952.
2. Time don't، Knowledge ideology، Discourse London، Rutledge، 1991.

رابعاً: البحوث والمقالات باللغة العربية

١. ابراهيم حلمي عبد الرحمن، "التطورات الدولية الجارية"، (الاهرام الاقتصادي)، (مجلة)، القاهرة، العدد ٣٧، مارس ١٩٩١.
٢. احمد الهرقام، "كل عدوان والعرب طيبون"، (مجلة حقائق)، تونس، ١٩٩١/١٢/٥.
٣. ادوارد مورتيمر، "الحضارة الغربية في عالمنا المعاصر، الابعاد الداخلية والخارجية لمرحلة انتقالية"، "شؤون عربية"، (مجلة)، القاهرة، العدد ٢٩، يوليو، ١٩٨٣.
٤. اسماعيل راجي الفاروق، "حول انشاء كراسي استاذية للدراسات الاسلامية من الجامعات الامريكية"، "مجلة المسلم المعاصر"، العدد ٣، ابريل-مايو، ١٩٨٥.
٥. جميل مطر، "العرب وهم"، "الحياة اللندنية"، (جريدة)، لبنان، العددان٢١-٢٢، ١٩٩٢.
٦. سيد يس، "التحليل الثقافي لازمة الخليج"، "المستقبل العربي"، (مجلة)، بيروت، العدد ١٤٨، تموز، يونيو، ١٩٩١.
٧. شبلي سلاد، "صورة العربي في امريكا، تحليل الاستقصاء حول موقف الامريكيين"، "مجلة الشرق الاوسط"، ربيع ١٩٨١.

خامسا: البحوث والمقالات باللغة الانكليزية

1. Francis Fukuyama، End of History، National interest، 16 summer، 1989.
2. Jack Shaheen، the Arab stereotype on T. V the link، VOI، 21، B، No. 2، April-May،1980.

سادسا: الجرائد باللغة الانكليزية

1. "News Week"، U. S. A. 9/1/1989.
2. The Economist، London، 1/1/1989.

Modern Challenges of Islamic Culture
Case Study of Mutual image Fashion of Peace and War between Islam and the West

Assist prof. phd. Samira Abd Alrazaq Abd Alla
College of education for women
University Baghdad

(Abstract)

Islamic Culture face many challenges Such as، Secularism، westrenism، globalism and Colonialism under current attempts For western States and united states of America to dominate on world and Confront all her Opponent Polaris it be clear when U. S. A. Occupied Afghanistan and Iraq and Threatened many Arabic and Islamic States.

Many studies concentrated on Political and Economic targets of American-Western Superiority and it's Method of employ meant international Order Machines to be as Cover of its domination on World، all cultural، in formation، civilizational of environment of these conflicts which are not take care of a some scholars.

This Subject of our research is very wide and deep that make us focus on tow specific Aspects only.

The first under title "Cultural Civilizational adaptation of western campaign against Islamic، Arabic states wheel The Second Aspects study The Analysis of Western Campaign against Islam.